﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾

[الفرقان: 30]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

نـبْـذُ الـقـرآنِ الكريم والتّأمّل فـيـه شـكـايـةُ الرّسول قومَه

لمّا ذَكَر تعالى ما قاله المشركون منَ الباطل في معارضة القرآن، والإعراض والصَّدّ عنه، وما قالوه من عبارات الحسرة والنّدامة يومَ القيامة، على ما كان منهم من ذلك في الدنيا - ذَكر ما قاله النّبيُّ ﷺ مِنَ الشَّكوى لرَبِّه بهم من تَرْكِهم للقرآن العظيم وهَجْره[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿مَهۡجُورٗا﴾: (هجر) أصلُ الكَلِمَةِ يدُلُّ على قَطيعَةٍ وقَطْعٍ[2]، فالهَجْرُ والهِجْران: تركُ ما يَلْزَمُك تَعَهُّدُهُ[3]، والتَهاجُرُ: التّقاطعُ، يُقال: هَجَرَ فُلانٌ هَجْرًا بالفَتْح، وهِجْرانًا بالكَسْر: إذا تَباعَدَ، وهَجَرَ الشَّيْءَ أو الشَّخْصَ، أي: تَرَكَهُ وأَعْرَضَ عنه، وضِدُّه: الوَصْلُ، والهَجْرُ أيضًا: الهَذَيانُ[4]، والمَهجورُ: المتروكُ والمُفارَقُ، والمُرادُ هنا تُرْكُ الاعتناءِ به وسماعه[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

حُـرْمَـةُ هَـجْـرِ القرآن العَظيم، وعـدَمِ تـعـهُّـدِه والعملِ بما فيه

لَمّا أكثَرَ الكُفّارُ مِنَ الاعتراضاتِ الفاسِدةِ ووجوهِ التَّعَنُّتِ؛ ضاق صدرُ الرَّسولِ ﷺ، وشكاهم إلى اللهِ تعالى، فقال: ربِّ إنَّ قومي الَّذين بعثْتَني إليهم لأَدْعوَهم إلى توحيدك، وأمرتني بإبلاغ كتابكَ إليهم، قد تَرَكوه وهجَروه؛ فلا يَسمَعونَهُ ولا يتدَبَّرونَهُ، ولا يُؤمِنونَ به،

(1) ابن باديس، في مجالس التذكير، ص: 249.
(2) الخليل، العين، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (هجر).
(3) الخليل، العين، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (هجر).
(4) الجوهريّ، الصّحاح، والسّمين الحلبيّ، عمدة الحفّاظ: (هجر).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 17.

ولا يَعمَلون بأحكامِه، تركوا الإيمان بك، ولم يأبهوا بوعدك ووعيدك، بل أعرضوا إعراضًا شديدًا[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنَى الواو في صدر الآية:

عطفٌ على قولِ مَن لم يَرْجُ لقاءَ الله، وما بينهما تبيانُ عِظَم كفرِ الكافرين

قولُه تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ معطوفٌ على قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا﴾، وما بينهما من جُمَلٍ اعتراضٌ لبيان عِظَم ما قاله الكافرون، وشرحٌ لما سيحلّ بهم في الآخرة منَ العذاب الشّديد، وما يلاقونه منَ الأهوال والخطوب[2].

معنى (أل) في ﴿ٱلرَّسُولُ﴾، ونُكْتَةُ إيرادِه بصفة الرّسالة:

ردٌّ على قَدْح الكافرين، وإثباتٌ لأحقّيّة رسالتِه

(أل) في لفظ ﴿ٱلرَّسُولُ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ﴾ دالّةٌ على العهد، وهو الرّسولُ الكريم محمّدٌ ﷺ[3]، وإيرادُه بعنوان الرّسالة تحقيقٌ لحَملِه رسالةَ الحقّ؛ ليُبيّن للنّاس الحقيقةَ، ويَرُدَّ على شبهات مُنكريه، فما قالَه الكافرون عن نُبوّته كان قدحًا في رسالته، وسعيًا لتشويه صورته[4]، والتّعبيرُ بوصف الرّسالة دون اسمه الكريم تشريفٌ له ﷺ؛ لأنّ وصفه بالرّسالة أعظمُ من ذِكْره باسمه الشّريف؛ لأنّ الرّسالة تُشير إلى مكانته ومهمّتِه العظيمة في إبلاغ رسالة الحقّ سبحانه إلى النّاس، وفيه إعلاءٌ من شأنه، وتمييزٌ له عن غيره من الخَلْق، فلا يُخاطَب بما يُخاطبون به من ألقابٍ وأسماء[5].

غرضُ النّداء بلفظ الرّبوبيّة، ونُكْتة حذفِ الياء من لفظ (رَبِّ):

إظهارٌ لعظيم التجائِه، وشِدّة اعتمادِه، على المُنعِم عليه بأنواع الإحسان

في قوله: ﴿يَٰرَبِّ﴾ إظهارٌ لعظيم التجائه، وشِدّة اعتمادِه، وتمامِ

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 209، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 108، والمراغيّ، تفسير المراغي: 19/ 10.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 214.
(3) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 3/ 339.
(4) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 214.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 249.

تفويضِه لمالكه ومُدبِّر أمره، وموالي الإنعامِ عليه بأنواع منَ الإحسان، وأعظمُه إيتاؤه الرّسالة والنّبوّة[1]، ولَمّا كان قولُ الرّسول ﴿يَٰرَبِّ﴾ إنّما يقوله يوم القيامة؛ كنايةً عن هجر قريش للقرآن الكريم، وهجرِهم له، وتكذيبِهم له[2]، فإنّ ذلك مؤذنٌ بقُرْبه ﷺ يومَئذٍ من ربّه، فحُذِفت الياء من (رَبِّ)؛ للدّلالة على شدّة قُربه من الحقّ ﷻ.

الغرضُ مِن تتابُعِ المؤكّدات في قوله: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟﴾:

شكوى نبويّةٌ مُؤكّدةٌ من مصيبة هجر القرآن

توالَتِ المُؤكّداتُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾، من ﴿إِنَّ﴾ وتعريفِ الاسم بعد الإشارة؛ إيماءً إلى شِدّة اهتمامه بالقرآن الكريم، ولِجَعْل شكوى النّبيّ ﷺ أكثرَ تأثيرًا وقوّة[3]، وتصديرُ الجملة بحرف التّأكيد ﴿إِنَّ﴾ للمبالغة في أنّ مضمون هذه الجملة واقعٌ لا محالة[4]، وأنّ ذلك الهجرَ كان خطيئةً عظيمة، وذنبًا كبيرًا.

سِرُّ إضافةِ القومِ إلى ضميره ﷺ ﴿قَوْمِى﴾:

تذمُّرٌ نبويّ، وحُنوٌّ مع الحسرة، مُؤكّدٌ بصِلة القرابة

في التّعبير عنهم بقومه وإضافتِهم إليه في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾؛ تعبيرٌ عن شدّة استغرابِ الرّسول ﷺ من موقف قريشٍ المُعادي لرسالته؛ وهم أقربُ النّاسِ إليه، وأحرى بهم أن يُؤمنوا به، ويُؤيّدوا رسالته، وهو الموصوفُ عندهم بالصّادق الأمين[5]، وهو في الوقت نفسِه حُنوٌّ ممزوجٌ بالحسرة[6].

دلالةُ التّعبير بالاتّخاذ:

عبّر النّظمُ الجليل بلفظ الاتّخاذ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِى

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 376، وابن باديس، في مجالس التذكير، ص: 250.
(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 27.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 17.
(4) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 14/ 82.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 17، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5273.
(6) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 15.

إصـرارُهـم على هـجْـرِ الـقـرآن والإعـــــراضِ عنه، وتحميلُ أنفسِهم ضِدَّ ما تجدُه منَ الفطرة السّليمة

﴿ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾، ولم يقل: (إنّ قومي هجروا القرآن)؛ وذلك لأنّ فعلَ الاتّخاذ إذا قُيّد بحالةٍ فإنّه يُفيد شِدّة اعتناءِ المُتَّخِذ لتلك الحالة، بحيثُ ارتكبَ الفعل لأجلها، وجعله لها قصدًا، فاختيارُ الحقّ ﷻ لهذا التّعبير أبلغُ في بيان مدى هجْرِ قريشٍ للقرآن الكريم، من مُجرّد القول بأنّهم هجروه[1]، فلم يكن هجرُهم له مُجرّدَ واقعةٍ عابرة، بل جعلوه صفةً ملازمةً لهم، ومنهجًا في حياتهم، وذلك أعظمُ من أن يقال: هجروه، الذي يُفيد وقوعَ الهُجران دونَ دلالة منهم على الثّبوت والمُلازمة[2]، كما أنّ التّعبير بفعل الاتّخاذ مُؤذنٌ بالتّكلّف والتّعمُّل والمَشقّة، وتحميلِ النّفس، وهو شأن التّفعّلِ في معاني الأبنية العربيّة[3]، فلَمّا كان حَيَدانُهم عن القرآن حصل بتكليف أنفسِهم ضِدَّ ما تجده منَ الفطرة والجِبِلَّة السّليمة؛ أشار بصيغة الافتعال ﴿ٱتَّخَذُواْ﴾ إلى أنّهم عالجوا أنفسَهم في تركه علاجًا كثيرًا[4].

الغرضُ منَ التّعبير باسم الإشارة للقريب:

كـتـابٌ عظيم قـريـبٌ مـنَ القلوب، جديرٌ بـالاهـتـمـام به والانتفاع منه

استُعمِلَ اسمُ الإشارةِ للقريب ﴿هَٰذَا﴾[5] في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا﴾؛ وذلك لتعظيم القرآن، والتّأكيد على مكانته السّاميَة، ومنزلته الرّفيعة، فكلمة ﴿هَٰذَا﴾ تُشير إلى قُرْب القرآن الكريم منَ القلوب، وعِظَم شأنِه في النّفوس، وجلالةِ قَدْرِه في الألباب، وأنّه لا مثيلَ له، وأنّ مثله لا يُتّخذ مهجورًا، بل هو جدير بالإقبال عليه والانتفاع به[6]، وفي استعمال اسم الإشارة ﴿هَٰذَا﴾ فائدةٌ أخرى، وهي أنّ من جاءَهم بالقرآن هو الرّسول ﷺ؛

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 17.
(2) ابن باديس، مجالس التّذكير، ص: 249.
(3) الأشمونيّ، شرح على ألفية ابن مالك: 2/ 548.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 376.
(5) ينظر في اسم الإشارة، الشاطبيّ، المقاصِد الشّافية: 1/ 593.
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 17.

فهو أقربُ النّاس إليهم، فصدّوا وأبعدوا في الصّدّ عمَّن هو إليهم قريبٌ من قريب، وهذا أقبحُ الصّدّ وأظلمُه[1].

معنى (أل) في ﴿ٱلْقُرْءَانَ﴾:

(أل) في قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ عهديَّةٌ؛ فالقرآن هو الكتاب المُنَزّل، الذي من جملته الآياتُ النّاطقة بما يحيق بهم في الآخرة من فنون العقاب وأنواع العذاب[2]، ويجوز في (اللام) أن تكون دالّةً على الكمال، فهي إشارة إلى القرآن الذي عُرِف بصفاته العالية، مِن أنّه يهدي النّاس ويخرجُهم من ظُلُمات الجهل إلى نور الإيمان، وهو موئِلُ الرّحمة والسّكينة لقلوب المؤمنين، يشفي القلوبَ من أمراض الشّكّ والنّفاق والضّلال، ويُنير دروبَ المؤمنين، ويُرشدُهم إلى الطّريق الصّحيح ببلاغته الفائقة، وفصاحتِه العجيبة، وفيه الشّريعةُ الرّبانيّةُ[3].

القرآنُ هو الكتاب المُنَزّلُ، الذي من جملته الآياتُ النّاطقةُ بعذابهم

دلالةُ التّعبير بـ﴿مَهْجُورًا﴾، مادّةً وصيغةً:

عبّر النّظمُ الجليل عن تركهمُ القرآنَ والتّمسّكِ به بقوله تعالى: ﴿مَهْجُورًا﴾، وصيغةُ اسمِ المفعول تدلُّ على وقوع فعلِ الهجر والتّرك على القرآن الكريم[4]؛ إشارةً إلى شِدّة ما أصابه من قوم الرّسول ﷺ من إهمال وهجر وإعراض، وجَعْلِه مَتروكًا ومُفارَقًا وغيرَ معتنًى به، وكأنّهم طردوه من قلوبهم وبيوتهم وحياتهم[5]، ويجوز أن يكون من (أهجر) المَزيد، أي: مهجورًا فيه، ثمّ حذف الجارّ في إشارة إلى شِدّة هجر قريش للقرآن الكريم في قلوبهم، وفي حياتهم، وإمعانًا في هجرهم للقرآن الكريم، فقد زعموا أنّه سحرٌ وشِعْرٌ،

التّركُ للقرآن والإعراضُ عنه، والإنكارُ له، ووصفُه بالباطل

(1) ابن باديس، مجالس التذكير، ص: 249.
(2) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 215، وابن عجيبة، البحر المديد: 4/ 95.
(3) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5273.
(4) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 14/ 524.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 17.

وكَذِبٌ وهَذَيانٌ[1]؛ فكان هجرُهم له ليس مُجَرّد إهمالٍ أو تَرْكٍ، بل كان هجرًا مُتعمّدًا مُقترنًا بالإنكار والاتّهام الباطل، ويجوز أن يكون المهجور بمعنى الهجر، كالمعقول بمعنى العقل، والمعنى: اتّخذوه هجرًا، بصيغة المصدر، أي: الهجر نفسُه[2]؛ كنايةً عن شِدّة هجر قريشٍ للقرآن الكريم، ومبالغةً في التّعبير عن ذلك.

بلاغةُ المجازِ أوِ الكنايةِ في هجران القرآن:

لِهجْرِ القرآنِ معانٍ تتجاوزُ الظّاهرَ

التّعبيرُ بهَجْر القرآن واردٌ على طريق الاستعارة حيث شُبّه من يترك الانتفاع من القرآن بمَن يهجر مأوًى بجامع الاستغناء عنه، وبه يبين شدّة هذا الهجرِ وقُبْحه، وعاملوه كما يُعامل الكلام الذي لا نفع فيه[3].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

القرآنُ والذّكرُ والكِتابُ:

القرآنُ آخرُ الكُتب السّماويّة المُنَزّلة، والذِّكرُ يحتملُه ويحتملُ غيرَه، والكتابُ اصطلاحٌ على الكتب السّماويّة

القرآن: هو الاسمُ الخاصّ للكتاب الذي أنزله الحقُّ ﷻ على نبيّه محمّدٍ ﷺ، وهو آخرُ الكُتب السّماوية المُنَزّلة، وهو ما أشار إليه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾.

وأمّا الذِّكر: فهو في اللّغة خِلافُ النّسيان، ويأتي بمعنى العلاء والشّرف والرِّفعة[4]، ويحتمل هذا اللّفظُ أن يكون دالًّا على القرآن وعلى غيره[5]، كالإيمان والرّسول والهدى وغيرِه، وقدِ استُعمِل في قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكْرِ﴾؛ لاقترانه بفعل الإضلال، وهو صرفُ الشّيء عن وجهته الصّحيحة، وإيهامُه طريقًا خاطئًا، فالعلاجُ يكون بتذكّر اللّهِ تعالى، وتلاوةِ القرآن الكريم، ولم يَرِد بلفظ (الكتاب) لبُعدِه عنِ السّياق.

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 455.
(2) الطّيبيّ، فتوح الغيب: 11/ 224.
(3) الخطيب، التّفسير القرآنيّ للقرآن: 10/ 15.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ذكر)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 17.
(5) الثّعلبيّ، الكشف والبيان: 19/ 399.

وأمّا الكتابُ: فهو بمعنى المكتوب، وقد يكون دالًّا على القرآن، أو على غيره من الكتب السّماويّة الأُخرى، كالتّوراة والإنجيل والزّبور.

الهِجْرانُ والتّرك:

الهَجْرُ والهِجْران: أن يفارق الإنسانُ غيرَه بدنًا أو لسانًا أو قلبًا[1]، فلمّا كان القرآن بين ظهرانيهم لكنّهم تركوا تلاوتَه والعمل به، عبّر عن ذلك بالهِجران في قوله: ﴿إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾.

الـهـجـران أَعـمُّ مِنَ التّرك

أمّا التّرك: فيردُ عند العرب بمعنى "تخليف الشّيء في المكان الذي هو فيه، والانصرافُ عنه"[2].

ومن هنا تظهرُ براعةُ القرآن الكريم ودقّتُه في استعمال الألفاظ في موضعها المناسب؛ فإنّ تركهم للقرآن لم يكن تخليّةً مكانيّةً بالانصراف عنه، بل قد يكون الكتابُ الكريم موضوعًا عندهم في أنزهِ مكانٍ مُحتفًى به، إلّا أنّهم هجروا تلاوتَه، والعملَ به، والحُكمَ بحُكمه، والانتهاءَ عن نواهيه.

(1) الرّاغب، المفردات: (هجر).
(2) العسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 124.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والثلاثون،
سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 37 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-79-2
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 37 : المجلد السابع والثلاثون، سورة النور من الآية 39 إلى سورة الفُرقَان الآية 42.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-79-2
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-8644972 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»